



مجزرة الإسكندرية :
هل هي كجاءت المنشية مقدمة
لسحق الإسلام ؟!

obeikandi.com

في نهاية الكتاب سيجد القراء اعتذارا مني عن مواصلة الكتابة^(١)، وهو المنشور أيضا في مجلة المختار الإسلامي، ولولا فداحة ما حدث في الإسكندرية، بالإضافة إلى ضغط لا يسعني رده من إخوة في الله لا أستطيع أن أرد لهم طلبا لواصلت الالتحاف بصمتي. وهو ما أظن أنني سأفعله بعد ذلك. فقد سئمت ومللت وتقرزت. ولا أقول: يئست.

لن أقدم القربان كحملة القرابين بأن أدين وأشجب وأندد بما حدث في الإسكندرية، لأنني في الحقيقة والواقع لا أوافق عليه، بل إنني - أيم الله غاضب وحزين - ذلك أن الدين والدين عند الله الإسلام، ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه - يجرمه ويجرمه. بل إنني أتجاوز ذلك لأتهم كل من اكتفى بأن ندد وشجب، وبالغ في الإدانة والشجب، بأنه شريك في الجريمة، لأنه لم يحشم نفسه عناء البحث عن أسبابها الموضوعية، كي يتسنى علاج المشكلة من جذورها. ولشد ما يحزنني أن يكون بعض ممن أدينهم شيوئا أجلاء أحبهم على كافة المستويات: فقههم وعلمهم وورعهم وتدققهم ومخارج الحروف عندهم وحتى نبرات أصواتهم وملامح وجوههم. لكنني في الفترة الأخيرة ألاحظ في حزن أن بعضهم يتوقى مواجهة السلطان بكل طاقته. فأردد لنفسي في همس حزين: من لا يقدر على مواجهة السلطان لن يستطيع مقاومة الشيطان.

إن بعض من حكموا بخروج مرتكب مجزرة الإسكندرية من الإسلام كان عليهم أن يثبتوا لنا أولا أنه مسلم!! فإن كان مسلما كان عليهم أن يطبقوا قواعد الفقه في الحكم عليه.

لقد كتب بعضهم في صحيفة اليوم السابع (وهذه أولى الأثافي، لأن اسم

(١) كانت هذه هي المقالة الأخيرة قبل الثورة، كنت قد استأست، وعزمت على ألا أعود إلى الكتابة أبدا، كنت محتجا على صمت الناس، الصمت الذي خدعني، لأنه سرعان ما انفجر، كما تنفجر النجوم، لتملأ الكون حياة ونورا. وما كان لي أن أتوقف بعد انبلاج الثورة.

الصحيفة تجديف، ولأنها ترديد للأساطير التوراتية أن الله خلق الدنيا في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا). ثانياً الأثافي أن بعض البعض حكم بالكفر على مرتكب حادث الإسكندرية، بينما يدرك أصغر تلميذ من تلاميذهم أنهم يقدمون القربان للسلطان كي يتقوا شرها. لأنهم يعلموننا أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الملة إلا عند الخوارج. فإذا أصروا على تكفير من قتل النصارى فهل يكفر أيضا من قتل صحابة رسول الله ﷺ في معركتي صفين والجمل؟! هل يكفر من يقتل المعتقلين دون محاكمة؟ ومن يعذبهم حتى الموت؟ وهل يقتصر الكفر على المنفذ دون الأمر؟ أم على الأمر دون المنفذ؟ أم عليهما معا؟ وهل ينطبق على الدول انطباقه على الأفراد؟ هل يمكن تطبيقه على أمريكا مثلا لقتلها مليوني مسلم في العراق؟ وعلى إسرائيل لقتلها مئات الآلاف منا؟ وهل ينطبق على فرنسا من أجل الجزائر؟ وبريطانيا.. و.. و..

الأمر في جوهره حرص على أصول الدين وقواعد الفقه كي لا تزيغ مع الهوى، وهو من الناحية الأخرى، سلاح خطير جدا قد يكون أذاه أكثر على من يبدأ باستعماله، ثم أنه غير هذا وذاك خطأ في التشخيص لا بد أن يعقبه خطأ في العلاج. ثالثة الأثافي أن الشيخ لم يتطرق للظروف الموضوعية للاحتقان الطائفي، وأنه بسبب ظلم طاغوتي باطش خائن مارسه السلطة واستغله النصارى لهضم حقوق المسلمين بل وسحقها سحقا. ولست مستعدا للإفاضة، لكنني أحيل القارئ إلى هذا الكتاب بين يديه، وهو كتاب خاف جل الناشرين من نشره بسبب إرهاب الدولة وسطوة النصارى، حتى قبيض الله له ناشرا شجاعا آلى على نفسه نشر الحق والصدق مهما كانت العواقب. وبين دفتي هذا الكتاب مقالات منشورة تنبأت بما يحدث وحذرت منه. أما الناشر الذي كان ينشر لي قبل ذلك، فقد أصبح المسؤول عن النشر عنده نصرانيا.

أما عن الكتاب والسياسيين فحدث ولا حرج. في كل أمة يوجد الغوغاء والحمقى والسفلة. لكنهم لا يحتلون مقاعد النخبة إلا في أتعس بلاد الدنيا. لقد كانت الحماسة المصنوعة مقززة في وضع مأساوي كهذا. كان مقززا أيضا تصفية الحسابات وانفجار الأحقاد. ولا أريد أن أستعرض ما يثير تقززى، ولكنني أدعو القراء للاطلاع -كمجرد عينة- على أقوال وحيد حامد ومحمد عبد الفتاح عمر وفؤاد علام والمحامي جبرائيل.

أما بالنسبة لمقدمي البرامج فقد كان وضعهم مرعبا. كان كل واحد منهم يبدو كما لو كان جالسا على فوهة بركان وأن إشارة من ضابط أمن دولة أو من أحمد عز كفيفة بأن تزيل المقاعد من تحتهم -كما يحدث في المشتقة- ليهووا إلى النار. بدوا كما لو كانوا قد مسخوا. ورحت أرقبهم في حزن ذاهل وهم يذبحون العقل والمنطق والضمير والصدق. رحت أرقبهم قائلًا في نفسي في ألم عظيم: حتى الشيطان عندما عصى الله كان له منطق، صحيح أنه منطق خاطئ، منطق شيطاني، لكنه منطق على أي حال. لكن هؤلاء كانوا يفتقدون أي منطق. كانوا كحيوانات السيرك المدربة تحت جلد السياط وذبح القطط والأرانب أمامهم بالإضافة إلى قطع الجزر والسكر وأصابع الموز، و، و، عشرات الآلاف في الحلقة.

تداعبني هواياتي القديمة: كتابة القصص. أفكر أن أكتب قصة على النقيض من قصة الكاتب اليهودي الفذ فرانز كافكا: «المسخ». في رواية كافكا يمسخ البطل إلى حيوان مقزز ومخيف، في روايتي المتخيلة التي لن أكتبها أبدا يظل البطل كما هو لكن الناس حوله يُمسخون ويتحكمون فيه وهم مسوخ، ويحكمون عليه.

كنت أتابع الفضائيات مذبوحا.

تذكرت إحساسا للكاتب العراقي المتميز «الدكتور أحمد العمري» في كتابه الرائع المروع: «ليلة سقوط بغداد». كانت الدبابات الأمريكية تدوس على الأسفلت، قال

أنه شعر أن هذه الدبابات تدوس على أشلاء أطفاله، وأنه كما لو أنهم قيدوه ليغتصبوا زوجته أمامه، أمام الفضائيات شعرت بنفس الشعور، كانوا كحيوانات مفترسة يمضغون أشلاء أحفادي، كان الدم يتساقط من أشداقهم، ويغطي مخالبيهم.. دم الإسلام الذي يحاولون أن يذبحوه.

انقسم النصارى في الفضائيات والصحف والشارع إلى ثلاثة أقسام: قسم ضئيل وعاقل وفاضل ونبييل يشعر بمسؤولية الكلمة ولا يمنعه حزنه من الإنصاف وإحقاق الحق وإدانة التغول السياسي للكنيسة وغطرسة شنودة التي أوصلت الأمور إلى هذا المدى. القسم الثاني هو الأغلبية، وقد كانوا غاضبين لكنهم يكظمون غضبهم وإن أفلتت منهم كلمة هنا أو هناك تنال من الإسلام والمسلمين. القسم الثالث كان من أبناء الشوارع، كالتورييني وحناطة (حتى لو كانوا يحملون الدكتوراة، ولو كانوا رؤساء تحرير أو وزراء) حثالة المجتمع، مجموعة من الصعاليك والزبالين والسفلة لم يردعهم حتى مندوب رئيس الجمهورية ولا منصب شيخ الأزهر أو المفتي (دعكم من زقزوق) فاعتدوا عليهم قولاً وفعلاً، بل وحبسوا الوزراء بعد أن حالوا بينهم وبين حرسهم في غرفة حقيرة وهربوهم في سيارة نصف نقل بطريقة مهينة. وليكن واضحاً أن هذا لا يمكن أن يتم دون قيادة القسس ودون رضا مباشر من شنودة، فإن كان قد تم رغماً عنه داخل كنيسته وعلى بعد أمتار منه فإن معنى ذلك أنه فقد السيطرة فقدانا كلياً وأنه أولى به أن يعتزل.

لقد أهينت الدولة كلها بواسطة أتباعه وبتحريض رجاله.

لاحظت أن ضيوف البرامج الذين يحملون أسماء إسلامية أكثر شراً وبذاءة حتى من أشد النصارى شراً وبذاءة وكذباً. لست أدري من أي مباءة جمعتهم الفضائيات واستقطرتهم لتركز عنفهم لتسمم به الأمة. أولئك السفلة أكثر انحيازاً ضد الإسلام من حثالة النصارى. أولئك السفلة، الشيوعيون سابقاً والمتأمركون والمتأسرلون

حاليا مجوس هذه الأمة. أولئك كان موقفهم من البداية ضد الإسلام. إنهم لا يكفون عن الهجوم عليه، بالباطل دائما، ولا يكفون عن مظاهرة النصارى، بالباطل في معظم الأحيان. معظمهم، يجب عليه أن يحسد الداعرات على ما يملكن من شرف لا يملكه، معظمهم يحملون أعلى الشهادات، ويحتلون أرقى الوظائف وتستضيفهم كل الفضائيات، أحدهم، كلب من كلاب النار، كان يصرخ: ولماذا لا تسمحون للنصارى ببناء كنائسهم كيفما شاؤوا أينما شاؤوا. يا كلب النار: هل تسمح أمريكا أو فرنسا أو ألمانيا للمسلمين فيها أن يبنوا المساجد هناك كيفما وأينما شاؤوا؟ فإذا كانت هذه المساجد ستبنى بأموال من الخارج لإعطاء الطابع الإسلامي لمدنهم، تراهم كانوا يوافقون؟ . يا كلب النار: لن أقول لك اقرأ كتابي عن النصارى، ليس لمجرد أنك أسوأ من أن تقرأه، ولكن لأنني واثق أنك تعرف ما فيه، وتعرف أنه الحق، لكنك تقول ما تقول كراهية في الإسلام وحباً في مكاسبك من النصارى.

كلب من كلاب النار يحمل اسماً إسلامياً طلب إصدار قانون العبادة الموحد. فهل تدرك يا جاهل لماذا تتقاعس السلطة عن إصداره؟ لأنهم لا يريدون أن يعطوا حقوقاً للمسلمين كتلك الممنوحة للنصارى. هل توافق يا أحمق فعلا على المساواة بين المسلمين والنصارى في دور العبادة؟ هل توافق على أن ينحصر لكل مسلم أو مسيحي معدل عشرة أمتار مربعة من دور العبادة من المساجد والكنائس والأديرة؟ المسلمون يوافقون على ما دون ذلك بكثير. خذها مني أنا: متر مربع لكل مسلم مقابل مترين مربعين لكل نصراني؟ فهل يرضيك هذا يا أحمق؟ لكنني أوافق على أقل منه! أوافق على أن يكون لكل نصراني عشرة أضعاف المساحة المخصصة لكل مسلم. أوافق. فهل توافق؟ وهل يوافقون؟ . يا غبي.

غبي آخر طلب المساواة في الوظائف. وأنا أيضا أوافق. أوافق على المساواة في كل

شيء. في الوظائف والثروة والمعتقلات والأعباء والشرطة والتعذيب. فهل توافق يا أحمق؟ وهل يوافقون؟

ثم أن هناك نقطة مهمة جدا وظالمة جدا. هل نعامل مثلا على أن النخبة القائدة من المسلمين؟ بمعنى هل هم من الذين يؤمنون بأن القرآن كتاب الله وأنا يجب أن نحكم به؟ لن نكفر أحدا. لكننا نقول أنه يوجد كثير من النصارى في كثير من المؤسسات لكن لا يوجد إسلامي واحد. وما مجلس الشعب الأخير إلا مثلا. أم أنك تريد أن تعتبر أنه يوجد فيه عشرة من النصارى والباقي من المسلمين. تلك إذن قسمة ضيزى. لقد كان القائد الأول للجيش الثاني في أهم فترة في تاريخ مصر نصرانيا، فكارن ذلك بما حدث لكهال الدين حسين، وهو من الضباط الأحرار، ورفيق عبد الناصر والسادات، لمجرد أنه اعترض على التعذيب الحيواني المجرم للإسلاميين.

إن بعض الحمقى وكلاب النار يزورون التاريخ كله، فيعتبرون أن المد الإسلامي قد بدأ في السبعينيات. بل قبر في الخمسينيات والستينيات يا جهلة يا حمقى. وقبل ذلك كان موجودا طول الوقت. البعض أيضا، ممن بلغ بهم الجهل مدى لا يصدق، يتصورون أن الحجاب والنقاب وفد علينا في السبعينيات ولا يدرك هؤلاء أن أمهاتنا وجداتنا كن كذلك لعشرات القرون فيما عدا عقود قليلة في القرن العشرين لقطاع محدود من المجتمع تمكن منه الغزو الفكري الوافد مع الاستعمار. واحدة من هؤلاء كانت تصرخ على شاشة التلفاز أنها ترفض الزي البدوي والزي الإيراني الوافدين وتمسك بزيبها المصري. وكانت الجاهلة الحمقاء-الناصرية- ترتدي زيا وافدا من أوروبا!

هؤلاء الحمقى والأغبياء والجهلة الذين يتصدرون الساحة الفكرية والثقافية ليسوا انتخابا طبيعيا من بين المثقفين بل هو نوع من الخدمة الإلزامية أو التطوع لأجهزة الأمن السياسي. إنهم عساكر درك وليسوا كتابا. وهم يتبعون الداخلية لا الثقافة ولا حتى الإعلام.

أما رجال الأمن السياسي فإنني أصرخ فيهم:
ضيعتم الدين والبلاد والعباد.

كما أقول لهم: إن جنودهم من الكتاب والمثقفين الذين عينوهم في الصحف والفضائيات قد يكونون بغائهم وحقاقتهم واستفزازهم أقوى تأثيرا في بث الكراهية والازدراء للنظام من كتل المعارضة مجتمعة.

حادث الإسكندرية الأخير سيتكرر مرارا حتى انكسار مصر أو انكسار الطاغوت أو موت البابا شنودة - أكثر من أساء إلى نصارى مصر بغرور القوة وغطرسة السيطرة والاستعلاء بالأمريكيين - وتولي من يحسن معالجة الأمور لمصلحة النصارى قبل أن يكون لمصلحة الوطن.

لا شك في أن الحادث - فوق رفضه ابتداء على المستوى الديني باعتباره كبيرة من الكبائر - يسيء إلى مصر ويعرضها لمخاطر ترسم لها وأكمنه تعد لاصطيادها يشارك في بعضها للأسف أقباط المهجر وبعض نصارى الداخل. لذلك، فإنه فوق كونه خطيئة دينية فإنه خطأ سياسي مروع. نعم. بعيدا عن الحلال والحرام، وعن الخطأ والصواب، فإن ما حدث كارثة خطيرة، وهي كارثة لا يحمل وزرها المسلمون ولا الإسلام. على العكس. هم ضحاياها على المدى القريب والمتوسط. أما على المدى البعيد فإن النصارى هم ضحاياها، تماما كما حدث لنصارى العراق. وعلى كافة المستويات، فإن الوطن هو الضحية. الوطن هو الفريسة لا الكنيسة. بل تبدو الكنيسة كوحش خرافي شيطاني يقتل أمه.

بنسبة ٩٠٪ فإن حادث الإسكندرية من تدبير المخابرات الأمريكية والموساد مباشرة وبنسبة ١٠٪ فإنه من تدبير تنظيم القاعدة. ولكن ٩٠٪ من هذه العشرة في المائة ربما تكون بسبب اختراق للتنظيم عن طريق المخابرات الأمريكية والإسرائيلية. ونحن لسنا بصدد الحكم على جرائم الموساد أو المخابرات الأمريكية.

لكنتنا بصدد من يخونون لحسابهم أو يستقوون بهم. بصدد كبار مسؤولينا وقساوستنا وشيوخنا. بصدد حسابات كل منهم الخاصة. حتى لو أدت هذه الحسابات بالوطن إلى الدمار. سوف نتجاهل احتمالات أخرى لأن احتمالاتها بعيدة لا مستبعدة، منها أن يكون وراء العملية أقباط المهجر، أو بعض طوائف نصارى مصر التي تريد إشعال النار استدعاءً لأمريكا لحل مشاكلها الداخلية، أو حتى بعض أجهزة العمليات القذرة التي تريد التغطية على فضائح تزوير الانتخابات تمهيدا لانتخابات الرئاسة^(١). يجب أن نضع في الاعتبار أيضا أن تكون الجريمة جزءا من مخطط عالمي (صهيو صليبي) لتفتيت مصر بعد تفتيت السودان. سوف نستبعد أيضا تصورا إجراميا آخر، أن تكون هذه الجريمة كحادث المنشية عام ١٩٥٤، وقد تم هو الآخر بإخراج أمريكي لتوجيه ضربة ساحقة للإخوان المسلمين.

وسواء كانت المخابرات الأمريكية والإسرائيلية، أو القاعدة، أو حتى تنظيم مصري هو المسؤول عما حدث، فإنه لم يكن ليحدث لولا الاختلال الجسيم في بنيان الوطن، اختلال سوف يؤدي إلى اشتعال النار في الوطن كله. اختلال سببه تحالف شيطاني بين أمريكا وإسرائيل وشق مؤثر متغلب في النخبة الحاكمة وشق مؤثر غالب في قيادات النصارى والشق الأكبر من القوميين والعلمانيين والليبراليين والشيوعيين وجل أعضاء حزب التجمع. كل هؤلاء تحالفوا حلفا شيطانيا مؤداه أنهم يفضلون انفجار الوطن واحتراقه عن عودة التوازن الطبيعي إليه. التوازن الذي يعطي للمسلمين حقوقهم.

إن فقدن هذا التوازن الطبيعي سيظل لغما ينفجر في الوطن حتى يقضى على الوطن أو أن ينفجر اللغم في أصحابه فيقضي عليهم.

(١) كان هذا أول إرهاب بالشك في قيام الأجهزة القذرة في أمن قدر بتدبير الكارثة، ولم يكن هذا الاحتمال قد أثير قبل ذلك، ثم انفجرت الأخبار بعد ذلك مؤكدة تورط وزارة الداخلية في تدبير العملية كلها، وبرغم أنني كنت أول من أشار إلى هذا الاحتمال، فإنني ما زلت أضعه آخر قائمة الاحتمالات.

في العالم كله وفي الطبيعة كلها فإن فقدان التوازن يؤدي إلى كوارث هائلة (من أول ثقب الأوزون والاحتباس الحراري حتى هجوم سمك القرش على السياح). وإن حرمان المسلمين من حقوقهم الطبيعية لا بد أن يؤدي إلى كوارث هائلة أتهم من يتجاهلها بالخيانة العظمى.

إن الشحن العنفي المتواصل للنصارى بالأفكار الخاطئة أدى إلى أن رد فعلهم الأول بعد الحادث الأخير هو الاعتداء على مسجد. ثم الاعتداء اللفظي والجسدي على الوزراء الذين ذهبوا للتعزية، وإنني ألتمس كثيرا من المعاذير لعامة النصارى، الذين تعودوا أن يحتكر القسس تفسير الإنجيل لهم، عندما يستمعون إلى أكاذيبهم وأفكارهم الخاطئة ليتعاملوا معها على أنها الصواب الوحيد، ويصدقون على سبيل المثال أنهم سكان مصر الأصليون وأن المسلمين ضيوف وأن القرآن وضع في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه. إن المنطق السليم كان كفيلا بجعل الأقباط ممتنين جدا لكن عندما يملي عليهم المخرفون أن مصر بلادهم وأنا ضيوف عليهم فلا بد أن يشعروا بالضيق لأننا نزاحمهم فيها ولأن فترة الضيافة طالت كثيرا.

إن الذي يدس هذه الأفكار في وعي عامة النصارى ولا وعيهم ليس غيبا ومجنونا فقط. بل لماذا لا تفكر أجهزة الأمن في أنه عميل مدسوس للمخابرات الصهيونية.

لكن أجهزة الأمن تفكر في أمور أخرى، وقد تم برمجتها على النظام الأمريكي الصهيوني فأصبح المسلم عدوا واليهودي صديقا وإسرائيل جارة مأمونة وحماس بؤرة إرهاب. وتعرضت الأغلبية لاستفزاز مستمر لا يكاد يصدق. وفي ظل هذه البرمجة المجرمة يمكن للتحالف الإجرامي أن يعتمد إلى مزيد من الإخلال بالتوازن بمزيد من الإقصاء والحصار للإسلام، للإسلام لا للإخوان المسلمين. فالمستهدف هو الإسلام. المستهدف هو الإسلام. المستهدف هو الإسلام.

لشد ما أخشى أن يعالج الأغبياء الكارثة بمزيد من الداء. لأنهم بهذا يسكبون آبارا من النفط على جمر يتأجج. إنهم يتصرفون تصرف المرتين أمام نبي الله سليمان، حين تنازلت أم الطفل الحقيقية عنه إبقاء على حياته. كذلك، فإن التحالف المجرم يريد من المسلمين التنازل عن حقوقهم إبقاء على مصر!

إن عمليات الشحن الإعلامي الهائل في الوسائل الإعلامية تشي بل تفضح قرارات خطيرة سيتخذها النظام ضد الإسلام خلال أيام أو ساعات. لكن المشكلة أن هذه الإجراءات ستزيد من الخلل وستشعل مزيدا من النيران وستزيد من شبهة تورط جهات معينة.

هذا الشحن لم يتورع عن الميلودراما الفاقعة لاستدرار الدموع بعرض أشلاء ٢١ من الضحايا. يحزننا الأمر، لكن لدينا في العراق فقط أشلاء مليوني مسلم. وفي مصر لدينا ما هو أقسى من الموت في مسالخ أجهزة الأمن. وكل الضحايا مسلمون.

والحقيقة أنني أحمل الحكومة وعلى رأسها الرئيس مبارك قسطا كبيرا من المسؤولية عن الفتنة الطائفية. وربما يرى البعض أن الكلام الذي سأقوله على الفور غير لائق في أجواء الكارثة وما تستلزمه من عزاء. لكنني أرى أن الصراحة والمواجهة مطلوبة الآن أكثر من أي وقت مضى. ولو أن الرئيس مبارك فعل كما فعل الرئيس السادات، عندما صرح بأنه رئيس مسلم لدولة مسلمة، وعندما واجه شنودة غير هباب ولا وجل فعزله، فوآد الفتنة. القسط الآخر من المسؤولية يحمله شنودة نفسه، ولا أريد تكرار التفاصيل التي سيردها الكتاب.

قد يستطيع شنودة بالضغط والتخويف والغواية والاستقواء بأمريكا لا بالله أن يأخذ من مبارك ما يشاء، لكن كيف ينسى أن هناك عنصرا آخر هو الباقي وهو المؤثر وهو الذي سيكتب نهاية الحكاية. إن السواد الأعظم من المسلمين مسلمون جدا، لن أبالغ لأقول أنهم يفعلون ذلك تدينا- وإن كنت لا أنكره كله- وإنما أقول أنهم يفعلون

ذلك لعشرات العوامل منها الدين ومنها البطش والأمن المركزي ومباحث أمن الدولة وصحافيو أمن الدولة ومذيعو ومذيعات أمن الدولة. أضف إلى ذلك كثيرا من الفقر وكثيرا من الجبن. هم كذلك، في جل الأوقات كانوا كذلك. ويمكن أن يستمروا كذلك إلى وقت طويل جدا. لكنهم في مرحلة معينة يمكن أن ينقلبوا إلى أسود كاسرة.

يا له من ألم أن كل ما تنبأت به منذ عام ١٩٦٧ قد حدث.

يا له من ألم عندما أقرأ المستقبل.

سوف يركع نظام الحكم أمام شنودة بل سيسجد. سوف يسلم له بكل ما يريده. سوف يسقط الجرائم التي يرتكبها النصارى على الإسلاميين وسيحاول استئصال شأفتهم، سوف يهاجم النصارى الشرطة فتلق التهم للإسلاميين. سوف يتحدى النصارى الدولة فينكل بالإسلاميين. سوف يحملون السلاح فتنسب الجريمة إلى الإسلاميين. سوف يمارسون الإرهاب فيتهم به الإسلاميون. سوف يطالبون بالمساواة والمساواة عندهم إلغاء وجود الإسلاميين وطرده المسلمين جميعا من مصر وهو الأمر الوحيد الذي يقنع شنودة وبيشوي.

سوف يحدث ذلك. وسوف تحقق سياسة شنودة نفس ما حققته سياسة هتلر في أوروبا في بداياتها. لكن كيف كانت النهاية. الدمار الكامل والسحق الشامل. ولو طال بمن يحملون هذه الرؤية الشاذة العمر لانتحروا كما انتحر هتلر. لست أدري لماذا يعرضون النصارى لكل هذه المخاطر. هل يدركون ماذا تعنيه حرب طائفية؟ في البداية سيقتل النصارى من المسلمين مائة ألف أو حتى مليون. لكن ماذا سيحدث بعد ذلك. كم سيبقى من النصارى؟! هل سيبقى منهم مائة ألف أو مليون. وهل سيقرب للباقيين قرار أم سيلحقون بإخوتهم المهاجرين إلى أمريكا. هل سيقربون مالا أو قوة؟. سوف يدمر اقتصاد مصر. وسوف تتدخل أمريكا. لكن هل استطاعت أمريكا حماية نصارى العراق؟ وهل تستطيع كل قوى الدنيا أن تمنع

استشهاديا أو انتحاريا من تفجير نفسه أينما شاء؟! . ثمة نقطة أخرى، إن الخراب الذي سيلحق بمصر لن يؤثر كثيرا في عامة الناس والمسلمين، فثرواتهم منذ البداية منهوبة وأقواتهم محدودة وتأثيرهم محيّد. لكنه سيؤثر على طغمة اللصوص المسيطرة الآن. ستضعف الدولة. سيتهاوى النظام. وبتهاوي النظام ستقوى الحركة الإسلامية إلى ما غير حد. وسوف يؤدي هذا إلى تنام مذهب للهدى الإسلامي في العالم كله. فمصر دولة محورية، ويمكن إن غيرت موقفها أن تغير موازين السياسة في العالم.

يا شنودة: إنك لم تكف عن التصعيد منذ أربعين عاما، وإن كل ما يحدث الآن بسبب تصعيدك. أنت تريد معاملة المسلمين كعبيد لا حقوق لهم. وهذا لن يحدث. لقد واجهتك سلطة رخوة وشعب مقهور. لكن إذا ما واصلت الضغط والاستفزاز والابتزاز ستتهار السلطة وسينفجر الشعب.

يا شنودة لقد ردد أتباعك قدرا من الأكاذيب يحسدكم الشيطان عليها. دعنا من الأكاذيب البسيطة مثل قولكم أن عددكم ١٢٪ (بدلا من ٥-٦٪). لكنكم رددتم الأكاذيب حول اضطهادكم بينما لا توجد أقلية في الدنيا كلها تنعم بما تنعمون به. ودعوني أضرب لكم مثلا واحدا عن طريقة فاجرة في الكذب تنفجر كل آن وآخر. طريقة تنافس طريقة المثقفين الليبراليين الذين يعتبرون الميامس مثلا أعلى في الشرف. وهن لهم كذلك! . طريقة تقلب اواقع تماما، تحوله إلى ضده، ثم تنسج الخرافات والأكاذيب حتى تتحول الأكذوبة إلى أسطورة والأسطورة إلى ملحمة يتغنون بها. من ذلك إسادتهم بالمجرم الجاسوس الخائن المعلم يعقوب. دونما خجل. دونما استتار. بيدون العورة وكأنها وسام افتخار. مثل هذا فعلوه في تحرصهم عن أكذوبة مذبحة السويس وحرق المسيحيين أحياء فيها. ورغم اهتمامي بالأمر كله ومحاولتي تقصي الحقائق فإنني لم أحظ بالأمر إلا بعد أن شرحه المجاهد حافظ سلامة. كانت مواقع أقباط المهجر تقول أن المسلمين الإرهابيين القتلة الوحوش

جمعوا النصارى في كنيسة في السويس وأحرقوهم فيها. وتباينت أعداد المحروقين بين عشرات ومئات. الشيخ حافظ سلامة كان شاهد عيان على واقعة ادعاء حرق الكنيسة الأرثوذكسية في السويس يوم ٤ يناير ١٩٥٢. إنه يحكي الحكاية كما رآها:

« في ذلك التاريخ بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ بيننا وبين الإنجليز بعد صراع مرير من شعب مصر ضد الاحتلال الإنجليزي حينذاك وقيامنا بسحب العمالة المصرية من المعسكرات البريطانية فوجئنا بالمواطن محمد العربي يطلق النار على بعض الجنود الإنجليز في محطة بترول كانت خاصة بالقوات البريطانية عند المثلث في المكان المبنى به الآن مسجد الخلفاء الراشدين وكان يسمى من قبل بالمجاهدين. وإذا بالقوات البريطانية تطلق النار عشوائياً على المواطنين وسقط الكثير منهم شهداء وجرحى وحينذاك لم يكن لدي سلاح لأقاوم به وللرد على العدوان البريطاني وإذا بى أجد اليوزباشي محمد البركينى ومحمد النفاوى ومع كل منهم حوالي من ١٥ إلى ٢٠ جندي بلك النظام (الأمن المركزي الآن) ومع كل منهم بندقية من عهد الخديوي التي يستعملونها طلقة طلقة وبالتالى قمت بمساعدتهم واشتركت معهم ضد الموقع الإنجليزى الذي يطلق النار على المدنيين ولكنهم طلبوا منى أن أزودهم بالذخيرة لأنها سوف تنفذ منهم ولن يستطيعوا الاستمرار في المعركة ، فاضطرت إلى أن أتركهم لإحضار الذخيرة لهم، وإذا أبى أجد الصاغ زكى جبران مفتش القسم المخصوص (سابقاً .. أمن الدولة حالياً) يطلب منى أن أمر الضابطين وقواتهما بالكف عن إطلاق النار لأنه أتفق مع القيادة العسكرية البريطانية بوقف إطلاق النار بصفته ضابط الاتصال بين الشرطة المصرية والقوات البريطانية، ومعه اليوزباشي جرجس مينا لأن المكتب لم يكن به على مستوى المحافظة غير الصاغ زكى جبران واليوزباشي جرجس مينا واليوزباشي ميخائيل والكونسطل المرحوم الحاج عبد المقصود والكونسطل محمد التابعى، وهما المسلمان فقط بالمكتب لمراقبة المساجد. في هذا اليوم ٤ يناير ١٩٥٢ حاول الإنجليز دخول المدينة فتصدت

المقاومة لهم. وبدأ بعض الفدائيين يتخذون مواقعهم فوق أسطح بعض المنازل وكنت حينذاك - وكان اليوم جمعة - بالمستشفى العام لاستقبال الشهداء والجرحى وإذا أبى أسمع طلقات نارية قريبة منا وإذا بنا نرسل بعض الحراسات الموجودة بالمستشفى من جنود بلك النظام إلى مصدر هذه النيران وإذ بهم يجدون اثنين من المواطنين الأقباط فوق منزل الحاج المرحوم عبد العزيز البهنسى المواجهة للمستشفى يطلقون الرصاص على سيارات الإسعاف وعلى الأهالي الذين جاؤوا ليطمئنوا على ذويهم بالمستشفى ، وطلبنا من جنود بلك النظام أن يأتوا بهؤلاء ولكنهم من غضبهم أجهزوا على واحد منهم وجاؤوا ببندقيته وطلبنا عدم المساس بالآخر حتى نعلم من وراءهم وعلى الفور حضر الصاغ كامل سالم مأمور قسم السويس ليتولى بنفسه التحقيق ولكنه قال لي : يا شيخ حافظ هناك مظاهرة قامت من ميدان الأربعين عقب صلاة الجمعة ، ومعهم جثمان لاثنين من المواطنين كانوا يطلقون النار من منزل المواطن جورج سمعان بشارع صدقي على الفدائيين انبطحين بالأسطح الذين يطلقون النار على الإنجليز، فاضطروا إلى إحضارهم وتم قتلهم بعد إحضار الأسلحة التي كانت بحوزتهم ، ويطلقون النار منها على الفدائيين.

فقلت للسيد المأمور : وأنت لماذا لم توقفهم وتسحب الجثث ؟ !! فقال لي : لم أستطع مع غضب المواطنين، فالحقهم لأنهم كانوا يقولون على الكنيسة على الكنيسة حتى لا تحدث فتنة. فقلت له : هما فين. قال لي : في طريقهم إلى الكنيسة. فقلت له : كيف أصل إليهم ؟ !! فقال: خذ سيارتي الميري علشان مخدم يعترضك من الشرطة. ورغم العراقيل التي صادفتها من بعض ضباط الشرطة ومنهم القائم بالحملة الميكانيكية وكان ضابطاً مسيحياً. ولكنني بفضل الله تبارك وتعالى استطعت أن أصل إلى الكنيسة ووجدت بها بعض الأقفاس والقش الذين كانوا سيقومون بحرقه وأربع دكك خشبية كانت موجودة على باب الكنيسة الداخلي وبفضل الله تبارك وتعالى ، أدركت هذا العمل قبل نشوبه وتفريق المتظاهرين. وقلت لهم : هذه

مؤامرة وخاصة أن مأمور قسم الأربعين ، قبض على اثنين من الأقباط كانوا يتزعمون المظاهرة معكم؛ والآن هم في قسم شرطة الأربعين. لا نريد فتنة حتى لا نسمح للإنجليز بالتدخل فانصرف جميع المواطنين ، وإذا بي أجد المرحوم اللواء/ محمود كفاي حكمدار السويس (مدير الأمن بعد ذلك) فقال لي: أنت سبقتني يا شيخ حافظ. فقلت له : حتى أدرك هذا الشباب المغرر بهم وخاصة بعد أن تم القبض على اثنين من النشطاء في المظاهرة وتبين أنهم من الأقباط. فقال لي : تعال نخش جوه الكنيسة حتى نرى من بالداخل ، فإذا بي أنادى ويخرج من فرن الكنيسة الخاصة بخبز القربان شخص يسمى ميخائيل. فقال : أنا استخيت في الفرن لما شوفت المظاهرة فقال سيادة الحكمدار حينذاك : في حاجة في الكنيسة. فقال : ما فيش حاجة داخل الكنيسة ولكن في فناء الكنيسة وعند الباب.»

يواصل المجاهد البطل الشريف الحر الصادق الأمين:

« وأتحدى شنودة أن يأتي بدليل أو بصور فوتوغرافية عن أي أضرار أصابت الكنيسة حينذاك. وإذا أنا واقف مع سيادة اللواء إذ حضر نزيه تناغو المحامي ومعه نصر الله سمعان الموظف بمحافظة السويس فقالوا لسيادة اللواء : أحنا ها نروح للكنصل الإنجليزي ، في بور توفيق ونطلب منه حماية الأقباط من عدوان المسلمين علينا فحاولنا تهدئتهم ، وإسكان غضبهم لعدم إثارة الفتن ، وأثبت سيادة اللواء ما شاهده وما تلفظ به نزيه تناغو ومن معه وهما في ملف كل إلى الآن في أمن الدولة.»

«هذه هي قصة المقتولين بذلك الحادث بذلك اليوم ، الذي غضب من أجله نظير جيد. الأنبا شنودة قبل أن يترهبين - ونشر افتراءات كثيرة واتهم فيها النظام والشرطة في تواطئهم وترك القتلى، وأتحدها أن يعود إلى ما ثبت في المستشفى العام من عدد الشهداء الذين استشهدوا في هذا اليوم برصاص الإنجليز ورصاص الخونة من الأقباط.»

انتهى الاستشهاد.

هذه هي الحكاية إذن.

يجعلون من الخونة أبطالا ومن الجواسيس مجاهدين ومن الجناة مجنيا عليهم.

يجعلون داعرة الليل قديسة بالنهار!!.

والآن لننظر إلى ما كتبه نظير جيد / البابا شنودة الثالث بعد ذلك:

استمعنا في ألم بالغ إلى حادث السويس ، هدية العيد (الكريمة) وقد قدمها لنا

مواطنونا المسلمون الذين ينادون بوحدة عنصري الأمة !! وعناق الهلال والصليب!!

وتتلخص القصة (وقد رواها أخوة لنا من السويس) في حرق بعض

المسيحيين والطواف بهم محترقين في انطرافات ثم إلقاءهم في الكنيسة وإشعال النار فيها.

أين كانت الحكومة ؟ ؟

شيء يمكن أن يحدث في بعض البلاد المتبريرة أو في العصور الوثنية والرق

والوحشية، أما أن يحدث في القرن العشرين وفي السويس في بلد فيها محافظ ونيابة

وبوليس وإدارة للأمن العام فأمر يدعو للدهشة والعجب ، إنها ليست قرية نائية بعيدة

عن إشراف رجال الإدارة وإنما هي محافظة، فأين المحافظ حين وقع هذا الاعتداء

الوحشي؟ وما الدور الذي قام به رجاله (الساهاون) على الأمن وحماية الشعب^(١)؟!!

إننا نطالب الحكومة، لو كانت جادة فعلاً في الأمر لو كانت حريصة على احترام

شعور ما لا يقل عن ٣ ملايين من رعاياها، نطالبها بمحاكمة المحافظ ومعرفة مدى

قيامه بواجبه كشخص مسؤول وأن توقع عليه وعلى غيره من رجال الإدارة العقوبة

التي يفرضها القانون.

نظير جيد / البابا شنودة الثالث البطريك الـ ١١٧

العدد الأول والثاني لمجلة مدارس الأحد لعام ١٩٥٢ م

التربص إذا قديم، ونشر الأكاذيب قديم.

(١) هل يوجد فرق حقيقي بين نظير جيد وزكريا بطرس وموريس صادق؟!.

لقد تصورت في لحظة من اللحظات أن تحريفا وقع في الإنجيل يجعل من الكذب أفضل وسيلة للتقرب لله.

إنهم لا يكفون عن الكذب والادعاء أبدا حتى أنني أعذر بعض العلمانيين الأوروبيين الذين نقلوا الدين عندهم إلى أرفف الخرافات والأساطير في المكتبات. لكن الدهشة تستبد بي، إذ أن المرء قد يغامر من أجل الفوز بمكسب، وقد يقامر من أجل نصر محتمل، فإذا قامر بعشيرته في معركة لا أمل أبدا في الانتصار فيها فليس هناك إلا تفسيرات توقع تحت طائلة القانون، وليس ثمة مثال إلا هتلر.

يوجد تفاصيل كثيرة عن حادث السويس جعلتني أكثر اقترابا من أن يكون مرتكب حادث الإسكندرية نصرانيا. لقد وصل الضغط إلى نهايته في حادث العمرانية ودارت الدائرة عليهم وانقلب عليهم مكرهم وتديبرهم فكان لا بد من مخرج آخر (من كلاب العلمانية والليبرالية لا يوجد واحد فقط اعترض على مخالفة القانون وجمع النصارى ومحاصرة المحافظة وتدمير واجهتها وطابقها الأرضي والمباني المحيطة في محاولة لاتخاذ المحافظ رهينة! وكانت القيادة من القسس! ماذا كان سيحدث للإسلاميين لو فعلوا عشر ذلك)؟؟

هل تتصور يا شنودة ماذا سيحدث إن اندلعت النار في مصر. هل تتصور رد فعل الأغلبية المقهورة التي باعها حكامها وخانتها نخبها؟ هل تتصور كم المجاهدين الذين سيتوافدون من العالم كله لحماية الإسلام في مصر؟ هل تتصور ما يمكن أن يحدث؟. إنها معركة يائسة يا شنودة. معركة لن تنتصر فيها أبدا أنت ولا أتباعك. ستخرب مصر. لكن أكبر الخاسرين سيكون أنتم. أما المسلمون فسوف يخسرون كثيرا لكنهم سيكونون أقل الخاسرين. لأنهم سيكسبون في الوقت نفسه انهيار عدوين لدودين: أنت: كسياسة منحرفة لا كدين، ونظام حكم خان الله ورسوله والمؤمنين.

إنني أناشد المسلمين قبل الإسلاميين أن يضبطوا أنفسهم إلى ما غير حد، إلا

حدود الله. وأن يتجنبوا التصعيد ما استطاعوا. فربما يقيض الله غير شنودة واحدا من النصارى العقلاء الذين يجنبون عشيرتهم وأمتهم ودولتهم الخراب.

كطبيب مارس التفكير الأكاديمي والمنهج العلمي أكثر من أربعين عاما فإنني أميل إلى نفس المنهج في تناول الأمور الفكرية. وفي تشخيص ما يحدث، كما في تشخيص أي مرض، فإن سبب أي مرض ينقسم إلى قسمين: الأسباب المحيطة غير المباشرة والتي قد تتعدى المريض إلى ماضيه البعيد وإلى أسرته وعائلته وسكنه وبيئته، وقد تكون الأسباب غير المباشرة هي الأهم لكنها تحتاج إلى خطط شاملة طويلة المدى. أما القسم الثاني الذي يحتاج إلى تدخل عاجل فهو الأسباب المباشرة.

السبب المباشر للاحتقان الحالي يعود إلى شخصين:

البابا شنودة الذي استباح الدستور والقانون والوطن فاستقوى بالأجنبي وضغط على السلطة افتتاحا على حقوق المسلمين حتى وصل الأمر إلى اختطاف وسجن الأسيرات المسلمات.

أما الشخص الثاني فهو المسؤول الذي سمح له بذلك سواء كان زكريا عزمي أو الرئيس مبارك أو حتى مصطفى الفقي!

لقد أثبتت الأحداث أن كل تنازل لا يعقبه إلا طلبات أخرى لمزيد من التنازل لأن غطرسة القوة لا تعرف الارتواء.

إن كل حل لا يعيد للمسلمين حقوقهم ليس إلا قبلة موقوتة مؤجلة الانفجار. وإنه يمكن للنصارى أن يستولوا من حكومة رخوة متخاذلة على حقوق ليست لهم، ولا نقول لهم أنهم يأكلون نارا في بطونهم وسيصلون سعيرا، بل نقول لهم: أنهم يتلعون الغاما ستنفجر فيهم.

